سلسلة أعمال القلوب (٨)

حب الدنيا

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

حب الدنيا، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٠ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٦-٢٨١٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الزهد أ. العنوان

ديوي : ٢٦٧,٤ ١٤٣٠/٤٠٣٤

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م





سلسلة أعمال القلوب (٨)

حب الدنيا



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن القلب هو ملك الأعضاء، والأعضاء جنوده، فإذا صلح الملك صلح الجنود، كما روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[1].

والقلب كالحصن الرفيع وله أبواب ومداخل، والشيطان كالعدو الغاشم المتربص الذي يسعى جاهدا لدخول هذا الحصن ليستولي عليه.

ولا يقدر على حفظ هذا الحصن إلا بحراسة أبوابه ومداخله، فيجب على العاقل أن يعرف هذه الأبواب وتلك المداخل حتى يصد ذلك العدو الغاشم عن قلبه حتى لا يفسده عليه.

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

ومداخل الشيطان إلى القلب كثيرة ومنها على سبيل المثال:

الحسد، والحرص، والطمع، والبخل، والشح، والرياء، والعجب، وسوء الظن، والعجلة، والطيش، والغضب، وحب الدنيا والتعلق بها وبزينتها في اللباس والأثاث والدور والمراكب ونحوها.

وسوف نتناول بمشيئة الله تعالى هذا المدخل الأخير من مداخل الشيطان في ثنايا هذا الكتاب ضمن سلسلة مفسدات القلوب، وسنعرض لبيان شيء من حقيقة الدنيا، مع إشارة موجزة لموقف المؤمنين منها، ثم نذكر ما تيسر من مظاهر حب الدنيا، وأسبابه، ومفاسده، وعلاجه.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

ونسأل الله تعالى أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



حقيقة الدنيا

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال القرطبي: ("ما" صلة تقديره اعلموا أن الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي، وقال قتادة: لعب ولهو أكل وشرب، وقيل: إنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو)[١].

وقال ابن كثير: (يقول تعالى مهوناً أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها ﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ أي إنما حاصل أمرها عند أهلها

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ٢٥٤).

هذا كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[آل عمران: ١٤].

ثم ضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا، وبيَّن أنها زهرة فانية، ونعمة زائلة فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾[الشورى: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث كما يعجب الزراع ذلك تُعْجِبُ الحياة الدنيا الكفار؛ فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها.

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ أي يهيج ذلك الزرع، فتراه مصفرا بعدما كان خضرا نضرا، ثم يكون بعد ذلك كله حطاما، أي يصير يبسا متحطما. هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء،

والإنسان يكون كذلك أول عمره وعنفوان شبابه، غضا طريا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة؛ فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا، ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤].

ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة؛ حذر من أمرها، ورغب بما فيها من الخير فقال: ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ أي هي متاع فانٍ غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه، حتى يعتقد أن لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة

بالنسبة إلى الدار الآخرة)[١].

قال تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال الطبري: (يقول فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترن أهل الدنيا بدنياهم؛ فإنما مثلها مثل هذا النبات الذي حسن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا ريثما أن انقطع عنه الماء؛ فتناهى نهايته عاد يابسا تذروه الرياح، فاسدا تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير)[٢].

قال ابن كثير: (يقول تعالى واضرب يا محمد للناس مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها، كما أنزلناه من

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٤).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٣٠).

السماء فأختلط به نبات الأرض، أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله أصبح هشيما يابسا تذروه الرياح أي تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال، وكان الله على كل شيء مقتدرا أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال، وكثيرا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل)[١].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

قال ابن القيم: (شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها، وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغترارا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سُلِبَهَا بغتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبهها بالأرض

(١) تفسيرابن كثير(٥/ ١٦١).

التي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه وتصبح يداه صفرا منها، فكذا حال الدنيا والواثق بها سواء وهذا من أبلغ التشبيه والقياس)[١].

قال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» وفي رواية: «**لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) إعلام الموقعين (١ / ١٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

«**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»[١].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»[٣].

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ**»[٤].

المؤمنون والدنيا

(١) رواه مسلم (١٤٦٧).
(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠) وقال: حديث صحيح غريب.
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٦).
(٤) رواه مسلم (٢٨٥٨).

موقف النبي ﷺ من الدنيا:

قال عمر رضي الله عنه واصفاً حال رسول الله ﷺ (... وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قَرَظاً مصبوباً، وعند رأسه أَهَبٌ معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: «**مَا يُبْكِيكَ؟**» فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله. فقال: «**أَمَا تَرْضى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ**»[(١)].

قال ابن القيم: (وقد عرضت الدنيا على النبي بحذافيرها، وتعرضت له فدفع في صدرها باليدين، وردها على عقبيها، ثم عرضت بعده على أصحابه وتعرضت لهم، فمنهم من سلك سبيله ودفعها عنه وهم القليل، ومنهم من استعرضها وقال ما فيك قالت في الحلال والشبهة والمكروه والحرام، فقالوا هاتى حلالك ولا حاجة لنا فيما عداه، فأخذوا حلالها. ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها فلم يجدوه، فطلبوا مكروهها وشبهها، فقالت قد أخذه من قبلكم، فقالوا هاتى

---

(١) البخاري(٤٩١٣).

حرامك فأخذوه، فطلبه من بعدهم فقالت هو في أيدي الظلمة قد استأثروا به عليكم، فتحيلوا على تحصيله منهم بالرغبة والرهبة، فلا يمد فاجر يده إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد سبقه إليه، هذا وكلهم ضيوف وما بأيديهم عارية كما قال ابن مسعود ﵁ ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف، وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤادة)[١].

وهذا هو ديدن الأنبياء عليهم السلام حيث إنهم لا يحصل لهم سرور إذا حصلوا على أمر من أمور الدنيا، قال القرطبي: (ولا يسر نبي بأمر دنيا)[٢].

بعض مواقف الصحابة ﵃ من الدنيا:

تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها، وقال: إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وقَرَّعهم ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وقال أبو مجلز: ليفقدن أقوام حسنات

---

(١) عدة الصابرين (١٨٦).
(٢) تفسير القرطبي (١٣ / ١٧٠).

كانت لهم في الدنيا فيقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾[١].

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود رضي الله عنه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم. فقال: آثرنا الدنيا؛ لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم[٢].

عن الأحنف بن قيس قال: ثم قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم فقال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل، قال: فوضع القوم رؤوسهم

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٣٨٢).

فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا. قال: فأدبر واتبعته حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم. قال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئا، إن خليلي أبا القاسم ﷺ دعاني فأجبته، فقال: أترى أحدا فنظرت ما علي من الشمس، وأنا أظن أنه يبعثني في حاجة له، فقال: ما يسرني أن لي مثله ذهبا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير، ثم هؤلاء يجمعون الدنيا لا يعقلون شيئا، قال: قلت مالك ولإخوتك من قريش لا تعتريهم وتصيب منهم، قال: لا وربك لا أسألهم عن دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله[(١)].

عن وبرة قال: سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج؟ فقال: وما يمنعك؟ قال: إني رأيت ابن فلان يكرهه وأنت أحب إلينا منه، رأيناه قد فتنته الدنيا، فقال: وأينا أو أيكم لم تفتنه الدنيا[(٢)].

عن عمرو بن قيس عمن حدثه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم (٩٩٢).

(٢) رواه مسلم (١٢٣٣).

قال: لما حضره الموت قال: مرحبا بالموت زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم: إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[1].

بعض مواقف التابعين من الدنيا:

دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه، وهو يكابد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: (اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج)[2].

دخل أبو مسلم الخولاني المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا جلوسا، فرجا أن يكونوا على ذكر وعلى خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: قد جهزت غلامي، فنظر إليهم فقال: (سبحان الله

---

(١) الثبات عند الممات (١١٨-١١٩).

(٢) الثبات عند الممات (١٤٨).

هل تدرون يا هؤلاء ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل فإذا بيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير وعلى ذكر، فإذا أنتم أصحاب دنيا. فقام عنهم)[١].

هذه بعض النماذج من سير الرعيل الأول، ومن أراد المزيد فبإمكانه الرجوع لما سطره العلماء في مصنفاتهم الخاصة بالتراجم والسير.

---

(١) الزهد لابن المبارك (٣٣٨).

مظاهر حب الدنيا

لحب الدنيا مظاهر عديدة، ومن أبرزها ما يلي:

١ـ إصرار الناس على الانهماك في الدنيا:

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفا مع أُبي ابن كعب رضي الله عنه فقال: (لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا)[١].

٢ـ طلب الدنيا بعمل الآخرة:

قال مطرف: (إن أقبح الرغبة في الدنيا أن تُطْلَبَ بعمل الآخرة)[٢].

قال الفضيل بن عياض: (لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إلي من أن آكلها بديني)[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٩٥).
(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٠).
(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣١).

قال الجنيد: (سمعت السري يذم من يأكل بدينه ويقول: من النذالة أن يأكل العبد بدينه)[(١)].

كان مالك بن أنس يقول: قال لي ربيعة الرأي -وكان أستاذ مالك-: يا مالك من السفلة؟ قال: قلت: من أكل بدينه، فقال: من سفلة السفلة؟ قال: من أصلح دنيا غيره بفساد دينه. قال: فصدرني[(٢)].

سئل ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء، قال: من الملوك؟ قال: الزهاد، قال: فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه[(٣)].

٣ـ الترف والتنعم في الملبس والمأكل والمشرب:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به إلى اليمن قال له: «**إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**»[(٤)].

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٢).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٣).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٤).

(٤) رواه أحمد (٢١٦٠٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٠) رجاله ثقات.

٤ـ حب المال وحب الجاه والشرف والشهرة:

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

عن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»[1].

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

أسباب حب الدنيا

لحب الدنيا أسباب كثيرة، ولعل من أبرزها الأسباب التالية:

١ـ زينتها وحسنها الظاهر:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(١).

٢ـ ميل النفس والقلب إليها:

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢).

وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «**قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ، حُبِّ الْعَيْشِ وَالْمَالِ**»(١).

وفي لفظ: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**»(٢).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»(٣).

وفي لفظ: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ لَهُ وَادِيَاً آخَر، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (١٠٤٦).
(٢) رواه مسلم (١٠٤٧).
(٣) رواه مسلم (١٠٤٨).
(٤) رواه البخاري (٦٤٣٩).

٣- إيثار العاجل الحاضر على الآجل المنتظر:

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٧].

قال ابن القيم: (بل أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه وبَيَّنَ لهم مواقع رضاه وغضبه، ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل اللذات في دار النعيم، فلم تقو عقول الأكثرين على إيثار الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا: كيف يباع نقد حاضر وهو قبض باليد بنسيئة مؤخرة وعدنا بحصولها بعد طي الدنيا وخراب العالم، ولسان حال أكثرهم يقول: خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به، فساعد التوفيق الإلهي من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمده بقوة إيمان وبصيرة رأى في ضوءها حقيقة الآخرة ودوامها، وما أعد الله فيها لأهل طاعته وأهل معصيته، ورأى حقيقة الدنيا، وسرعة انقضائها، وقله وفائها، وظلم شركائها، وأنها كما وصفها الله سبحانه لعب ولهو وتفاخر بين أهلها وتكاثر في الأموال والأولاد، وأنها كغيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج

فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لا نألف غيرها، وحكمت العادات، وقهر السلطان الهوى، وساعده داعي النفوس وتقاضاه موجب الطباع، وغلب الحس على العقل، وكانت الدولة له)[١].

وخلاصة القول: أن حب الدنيا وإيثارها على الآخرة يرجع إلى أحد سببين:

السبب الأول: فساد في الإيمان والدين.

والسبب الثاني: فساد في العقل.

---

(١) شفاء العليل (٢٦٥).

مفاسد حب الدنيا

حذرنا الله جلَّ وعلا من الاغترار بالدنيا والركون إليها؛ لما في ذلك من المفاسد والمضار العاجلة والآجلة، ومنها ما يلي:

١ـ أن حب الدنيا مفتاح كل شر:

قال ابن القيم: (ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل، وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، ولا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه)[(١)].

(١) حادي الأرواح (٤٨).

٢ـ أن حب الدنيا سبب للوقوع في الكفر بالله ومعصيته:

عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

قال ابن تيمية: (والكافر قد يعلم وجود ذلك الضرر، لكنه يحمله حب العاجلة على الكفر، يبين ذلك قوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ فقد ذكر تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه وذكر وعيده في الآخرة ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ

(١) رواه مسلم (١١٨).

بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ وبين تعالى أن الوعيد إستحقوه بهذا)[١].

٣ـ التعرض للعقوبة والعذاب في الدنيا قبل الآخرة:

قال ابن القيم: (محبها أشد الناس عذابا بها، وهو معذب في دوره الثلاث، يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعى فيها ومنازعة أهلها، وفى دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدا، ولم يحصل له هناك محبوب يعوضه عنه، فهذا أشد الناس عذابا في قبره، يعمل الهم والغم والحزن والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض في جسمه)[٢].

وقال أيضا: (محب الدنيا يعذب في قبره، ويعذب يوم لقاء ربه، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٩).
(٢) عدة الصابرين (١٨٩).

﴿كَٰفِرُونَ﴾ قال بعض السلف: يعذبهم بجمعها، وتزهق أنفسهم بحبها، وهم كافرون بمنع حق الله فيها)[1].

وقال أيضاً: (وقالت طائفة: تعذيبهم بها أنهم يتعرضون بكفرهم لغنيمة أموالهم، وسبي أولادهم، فإن هذا حكم الكافر وهم في الباطن كذلك. وهذا أيضا من جنس ما قبله، فإن الله سبحانه أقر المنافقين، وعصم أموالهم وأولادهم بالإسلام الظاهر وتولى سرائرهم، فلو كان المراد ما ذكره هؤلاء لوقع مراده سبحانه من غنيمة أموالهم، وسبى أولادهم، فإن الإرادة ههنا كونية بمعنى المشيئة وما شاء الله كان ولابد وما لم يشأ لم يكن. والصواب والله أعلم أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة بالحرص على تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة أنواع المشاق في ذلك. فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه، وهو حريص بجهده على تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب)[2].

---

(١) عدة الصابرين (١٨٩).
(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦).

٤ـ غفلة القلب عن الدار الآخرة والتقصير في العمل الصالح:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى**»[(١)].

قال ابن تيمية: (وقال تعالى ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: ساهون عن أمر الآخرة، فهم في غمرة عنها، أي: فيما يغمر قلوبهم من حب الدنيا ومتاعها، ساهون عن أمر الآخرة وما خلقوا له، وهذا يشبه قوله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ فالغمرة تكون من اتباع الهوى، والسهو من جنس الغفلة، ولهذا قال من قال: السهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه، وهذا جماع الشر الغفلة والشهوة، فالغفلة عن الله والدار الآخرة تسد باب الخير الذي هو الذكر واليقظة، والشهوة تفتح باب الشر والسهو والخوف فيبقى القلب مغمورا فيما يهواه ويخشاه

---

(١) رواه أحمد (١٩١٩٨)، قال الهيثمي في المجمع (١١/ ١٤٤) رجاله ثقات، وقال الألباني: صحيح لغيره.

غافلا عن الله، رائدا غير الله، ساهيا عن ذكره، قد اشتغل بغير الله، قد انفرط أمره، قد ران حب الدنيا على قلبه، كما روي في صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ**»(١)، جعله عبد ما يرضيه وجوده ويسخطه فقده، حتى يكون عبد الدرهم، وعبد ما وصف في هذا الحديث. والقطيفة هي التي يجلس عليها فهو خادمها)(٢).

وقال ابن القيم: (محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة؛ لاشتغاله عنه بمحبوبه. والناس ها هنا مراتب، فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه، ومنهم من يشغله عن الواجبات التي تجب عليه لله ولخلقه فلا يقوم بها ظاهرا ولا باطنا، ومنهم من يشغله حبها عن كثير من

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) الزهد والورع والعبادة (٣٥).

الواجبات، ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وإن قام بغيره، ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي فيفرط في وقته، وفي حقوقه، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب، وتفريغه لله عند أدائه فيؤديه ظاهرا لا باطنا. وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله، ولسانه لذكره، وجمع قلبه على لسانه وجمع لسانه وقلبه على ربه. فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا، وقد روى مرفوعا: «**مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى**»[1])[2].

٥ـ مزاحمته لمحبة الله في القلب:

قال ابن تيمية: (فكيف إذا استولى على القلب ما هو أعظم استعبادا من الدرهم والدينار من الشهوات والأهواء والمحبوبات التي تجذب القلب عن كمال محبته لله وعبادته؛ لما

---

(١) رواه أحمد (١٩١٩٨)، وقال الهيثمي في المجمع (١١/ ١٤٤) رجاله ثقات، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٢) عدة الصابرين (١٨٨).

فيها من المزاحمة والشرك بالمخلوقات، كيف تدفع القلب وتزيغه عن كمال محبته لربه وعبادته وخشيته؛ لأن كل محبوب يجذب قلب محبه إليه ويزيغه عن محبة غير محبوبه)[١].

٦- عدم تلذذ القلب بذكر الله تعالى:

قال ابن تيمية: (القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه، ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام أظنه سليمان الخواص رحمه الله قال: الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم، فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا أو كما قال)[٢].

عن أبي عمران المصري قال: (أوحى الله جل وعز إلى داود: يا داود لا تجعلن بيني وبينك عالما أسكنت قلبه حب الدنيا، أولئك القطاع على عبادي، إن أدنى ما أعاقبهم به أن أنزع حلاوة مناجاتي من أصول قلوبهم)[٣].

---

(١) الزهد والورع (٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٩ / ٣١٢).

(٣) حديث خيثمة (١٦٦).

٧ـ الهم الدائم والفقر اللازم وتشتت الشمل:

قال النبي ﷺ: **«مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ همِّهِ شَتَّتَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ همِّهِ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضيْعَتَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»**[(١)].

قال ابن القيم: (وهكذا مَنْ الدنيا كل همه أو أكبر همه كما قال في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ همَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا همَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهَ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»**[(٢)] ومن أبلغ العذاب في الدنيا تشتيت الشمل، وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عيني

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٧).

العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب)[١].

٨- أنه يلهي عن ذكر الله:

قال ابن القيم: (وأقل ما في حبها أنه يلهى عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين، وإذا لها القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وَصَرَّفَهُ حيث أراد)[٢].

وقال ابن الجوزي: (والله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائب، ميسرة المطالب لكل طالب، باقية علينا لا يسلبها منا سالب، لكان الزهد فيها هو الفرض الواجب؛ لأنها تشغل عن الله، والنعم إذا شغلت عن المنعم كانت من المصائب)[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٣٦).
(٢) عدة الصابرين (١٨٦).
(٣) التذكرة في الوعظ (٧١).

٩ـ أن الدنيا تصير غايته:

قال ابن القيم: (إذا أحبها صَيَّرَها غايته، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر وقلب الحكمة فانعكس قلبه وانعكس سيره إلى وراء، فها هنا أمران أحدهما: جعل الوسيلة غاية، والثاني: التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا، وهذا شر معكوس من كل وجه، وقلب منكوس غاية الانتكاس، وهذا هو الذي انطبق عليه حذو القذة بالقذة قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ فهذه ثلاث آيات يشبه بعضها بعضا، وتدل على معنى واحد وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فحظه ما أراد وهو

نصيبه ليس له نصيب غيره، والأحاديث عن رسول الله ﷺ مطابقة لذلك، مفسرة له)[١].

١٠ـ حرمان العبد من الأجر وإفساد عمله:

قال ابن القيم: (فانظر محبة الدنيا ماذا حرمت هذا المجاهد من المجاهدين من الأجر، وأفسدت عليه عمله وجعلته أول الداخلين إلى النار)[٢].

١١ـ الطغيان:

قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦-٧].

قال ابن كثير: (قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، قال: ثم قرأ عبد الله

(١) عدة الصابرين (١٨٦).
(٢) عدة الصابرين (١٨٨)

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ وقال للآخر ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ وقد روي هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ: «**منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا**»[1])[2].

١٢ـ بيع الدنيا بالدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[3].

١٣ـ القول على الله بغير علم والابتداع في الدين:

قال ابن القيم: (فائدة جليلة: كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه، وحكمه في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولاسيما أهل الرياسة والذين

---

(١) رواه الدارمي (٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٤٣٧).
(٣) رواه مسلم (١١٨).

يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهم ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولاسيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال لي مخرج بالتوبة وفى هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ وقال تعالى فيهم أيضا: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أولا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله

مالا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه. وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة)[١].

١٤ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الجهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلاَ يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ**»[٢].

---

(١) الفوائد (١٠٠-١٠١).

(٢) رواه أحمد (١١٠٨٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠) بنحوه.

١٥ـ تأخر النصر ونزع المهابة من صدور الأعداء:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ**، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[(١)].

١٦ـ خسارة الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

قال الحسن: (غدا كل امرئ فيما يهمه، ومن هَمَّ بشيء أكثر من ذكره، إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة)[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٦٥).
(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (٢٥٨).

١٧ـ التعبد الأجوف وموت القلب:

قال ابن الجوزي: (مثل المحب لها ولو كابد العبادة كمثل ناشر الأرز يرفع رجلاً ويضع أُخرى، ومن مكانه لا يبرح، وكذلك الذي شُغِلَ بحب الدنيا قلبه، وبالعبادة جوارحه، تراه طول عمره يتقرب إلى الله بظواهره، ويبعد عنه بقلبه)[١].

١٨ـ سوء الخاتمة:

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي: (وأعلم أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباب، ولها طرق وأبواب أعظمها الإنكباب على الدنيا، وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الأخرى، والإقدام والجرأة على معاصي الله عز وجل، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام؛ فملك قلبه، وسبى عقله، وأطفأ نوره، وأرسل عليه حجبه، فلم تنفع فيه تذكرة، ولا نجعت فيه موعظة،

---

(١) التذكرة في الوعظ (٣٦).

فربما جاءه الموت على ذلك، فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين له المراد، ولا علم ما أراد، وإن كرر عليه الداعي وأعاد)[١].

(١) الجواب الكافي (١١٦).

علاج حب الدنيا

ما من داء إلا وله دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، ومن ذلك داء حب الدنيا، فعلاجه كامن في الأمور التالية:

١ـ العلم الراسخ بحقيقة الدنيا:

وقد تقدم الكلام على ذلك في مبحث حقيقة الدنيا.

٢ـ احتقار الدنيا وإهانتها:

قال ابن القيم:

(وقال إسحق بن هانئ في مسائله: قال أبو عبد الله وأنا أخرج من داره: قال الحسن: أهينوا الدنيا فو الله لأهنأ ما تكون حين تهان. وقال الحسن: والله ما أبالى شرقت أم غربت. قال: وقال لي أبو عبد الله: يا إسحق ما أهون الدنيا على الله عز وجل)[١].

---

(١) عدة الصابرين (١٨٥-١٨٦).

٣ـ التفكر في سرعة زوالها وسرعة إقبال الآخرة:

قال ابن القيم: (عاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق، وأقلهم عقلا؛ إذ آثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم، والدار الفانية على الدار الباقية، وباع حياة الأبد في أرغد عيش بحياة إنما هي أحلام نوم أو كظل زائل. إن اللبيب بمثلها لا يخدع، كما نزل أعرابى بقوم فقدموا له طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة فنام فاقتلعوا الخيمة فأصابته فانتبه وهو يقول:

وان امرؤ دنياه أكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور

وكان بعض السلف يتمثل بهذا البيت:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها
إن اغترارا بظل زائل حمق

قال يونس بن عبد الأعلى: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه)[1].

---

(١) عدة الصابرين (١٩٠).

قال ابن كثير: (قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي إنما هذا زهرة الحياة وزينتها الفانية الزائلة ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ أي حسن المرجع والثواب، وقد قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ قلت الآن يا رب حين زينتها لنا فنزلت ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ الآية، ولهذا قال تعالى: فنزلت ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ ﴾ أي قل يا محمد للناس أأخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ ﴾)[١].

وقال أيضاً: (قال تعالى ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ أي لا تعتاضوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٢).

وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي يخلو وينقضي فإنه إلى أجل معدود محصور مقدر متناه وما ثم الله باق أي ثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ قسم من الرب تعالى مؤكد باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها)[1].

٤ـ القناعة باليسير:

قال الله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١]، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٧٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني.

قال ابن القيم: (وقال الحسن أيضا: ابن آدم لا تعلق قلبك في الدنيا فتعلقه بشر معلق، اقطع حبالها، وغلق أبوابها، حسبك يا أبن آدم منها ما يبلغك المحل)[١].

٥ ـ تدبر عواقب حب الدنيا:

قال ابن القيم: (شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها، وكما أن الأطعمة كلما كانت ألذ طعما وأكثر دسما وأكثر حلاوة كان رجيعها أقذر، فكذلك كل شهوة كانت في النفس ألذ وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقده يقوى بقدر محبة المحبوب.

وفى المسند أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان رضي الله عنه: «**يَا ضحَّاكُ مَا طَعَامُك؟**» قال: اللحم واللبن قال: «ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى

(١) عدة الصابرين (١٩٣).

مَاذَا؟» قال: إلى ما قد علمت، قال: «**فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا**»[(١)].

كان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أُريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة، فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم)[(٢)].

٦ـ الاشتغال بتحصيل أسباب اللذة الحقيقية لا المتوهمة:

قال ابن القيم: (أعظم لذات الدنيا على الإطلاق لذة معرفته سبحانه، ولذة محبته؛فإن ذلك هو لذة الدنيا ونعيمها العالي، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتلفة في بحر فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك، فأطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعيم الدنيا وسرورها من

---

(١) رواه أحمد (٢٠٧٣٣)، وابن حبان (٧٠٢) بلفظ: «**إن مطعم ابن آدم جُعل مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه فانظروا ماذا يصير**»، وصححه الأرناؤوط.

(٢) عدة الصابرين (١٩٥).

اللذة القاطعة عن ذلك تنقلب آلاما وعذابا ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله، وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول: إن كان أهل الجنة في نعيم مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وكان غيره يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف)[١].

٧ـ أن يقدم رضى الله على ما تحبه نفسه وتهواه:

قال ابن رجب: (وفي بعض الكتب السالفة: من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه. وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن الحسن قال: ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة الله أو على معصيته، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت)[٢].

---

(١) الجواب الكافي (١٦٨).
(٢) كلمة الإخلاص (٣٥).

٨- التفكر في نعيم الجنة:

قال ابن رجب: (قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ**»[١] وسبب ذلك: أن ابن آدم مركب من جسد وروح، وكل منهما يحتاج إلى ما يتقوت به، ويتنعم به، وذلك هو عيشه، فالجسد عيشه الأكل والشرب والنكاح واللباس والطيب وغير ذلك من اللذات الحسية، ففيه بهذا الاعتبار مشابهة بالحيوانات في هذه الأوصاف، وأما الروح فهي لطيفة وهي روحانية من جنس الملائكة فقوتها ولذتها وفرحها وسرورها في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها، وفيما يقرب من طاعته وذكره ومحبته والأنس به والشوق إلى لقائه، فهذا هو عيش النفس وقوتها، فإذا فقدت ذلك مرضت وهلكت أعظم مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشرابه، ولهذا يوجد كثير من أهل الغنى والسعة يعطي جسده حظه من التنعيم، ثم يجد ألما في قلبه ووحشة فيظنه الجهال أن هذا يزول بزيادة هذه اللذات الحسية، وبعضهم يظن أنه يزول بإزالة العقل بالسكر، وكل هذا يزيد

---

(١) رواه الطبراني (٤٩٥٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

الألم والوحشة، وإنما سببه أن الروح فقدت قوتها وغذاءها فمرضت وتألمت)[(١)].

٩- اليقين بأن الجمع بين عيش الدنيا والآخرة متعذر، فيتعين إيثاره على عيش الدنيا:

قال ابن رجب: (اعلم أن الجمع بين هذين العيشين في دار الدنيا غير ممكن، فمن اشتغل بعيش روحه وقلبه وحصل له منه نصيب وافر لهى عن عيش جسده وبدنه، ولم يقدر أن يأخذ منه نهاية شهوته، ولم يقدر أن يتوسع في نيل الشهوات الحسية، وإنما يأخذ منها بقدر ما تقوم به حاجة البدن خاصة، فينتقص بذلك عيش الجسد ولابد، وهذه كانت طريقة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وكان الله يختار أن يقلل نصيبهم من عيش أجسادهم، ويوفي نصيبهم من عيش قلوبهم وأرواحهم. قال سهل التستري: ما أتى الله عبدا من قربه ومعرفته نصيبا إلا حرمه من الدنيا بقدر ما أعطاه من معرفته وقربه، ولا آتاه من الدنيا نصيبا إلا حرمه من معرفته وقربه بقدر ما أتاه في الدنيا)[(٢)].

(١) شرح حديث لبيك (٥٨).
(٢) شرح حديث لبيك (٦٢).

١٠ـ التدبر في سرعة زوال الدنيا:

قال ابن القيم: (مثل أهلها في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة، فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة، وحذرهم الابطاء، وخوفهم مرور السفينة، فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته، وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليا، فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده، ووقف بعضهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، ويسمع نغمات طيورها، ويعجبه حسن أحجارها، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة، وسرعة مرورها، وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا فجلس فيه، وأكب بعضهم على تلك الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حمله، فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا، وزاده حمله ضيقا، فصار محموله ثقلا عليه ووبالا، ولم يقدر على نبذه، بل لم يجد من حمله بدا، ولم يجد له في السفينة موضعا، فحمله على عاتقه، وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار، وتغيرت أراييجها، وآذاه نتنها. وتولج بعضهم في تلك الغياض، ونسي السفينة، وأبعد في نزهته حتى إن الملاح نادى

بالناس عند دفع السفينة، فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيه، فهو تارة يتناول من الثمر، وتارة يشم تلك الأنوار، وتارة يعجب من حسن الأشجار، وهو على ذلك خائف من سَبُعٍ يخرج عليه، غير منفك من شوك يتشبث في ثيابه، ويدخل في قدميه، أو غصن يجرح بدنه أو عوسج يخرق ثيابه)(١).

١١ـ الصبر عن محبة الدنيا:

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه مَنْ يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زُخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، قالوا: ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي: ذو حظ وافر من الدنيا. فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم: ﴿ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما

(١) عدة الصابرين (١٩٥ - ١٩٦).

ترون..... : «يقول الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾»[(١)].

وقوله: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾: قال السدي: وما يلقى الجنة إلا الصابرون. كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم. قال ابن جرير: وما يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا، الراغبون في الدار الآخرة. وكأنه جعل ذلك مقطوعًا من كلام أولئك، وجعله من كلام الله عز وجل وإخباره بذلك)[(٢)].

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) تفسيرابن كثير (٦/ ٢٥٥)، تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٩).

الخاتمة

تفكر في دنياك كم قتلت، وتذكر ما صنعت بأَقرانك وما فعلت، واحذرها فإِنها عما لابد منه قد شغلت، وإِياك أن تساكنها فإِنها إِن حَلَّتْ رحلت.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بشاة ميتة قد ألقاها أهلها، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا**»(١).

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٣٠٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨).

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يتجافون عن دار الغرور، وينيبون إلى دار الخلود والسرور.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- ما هي مظاهر حب الدنيا؟.

٢- لحب الدنيا أسباب عديدة، فما هي أبرزها؟.

٣- ما المفاسد والأضرار المترتبة على حب الدنيا؟.

٤- ما العلاج الناجع لمرض حب الدنيا؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»، وضح ذلك؟.

٢- بكى عمر رضي الله عنه لما رأى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماذا قال؟ وبماذا أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم؟.

٣- ما العلاقة بين القول على الله بغير علم، وبين حب الدنيا؟.

المحتويات